# المحطم

"دعني ألمع لكَ حذاءك! "

لطفٌ شديدٌ منها، وتواضع غير مسبوق أن تطلب هذا الطلب!

سكرتيرتي الجديدة تناديني في الروحة والجاية "يا مولاي !" وتحضر شمعًا إلى المكتب كل يوم لإشباع ميولها الرومانسية الشديدة! هذا الكائن الأرضي الغنج المتدلل لا يمكن أن يكون إلا ملاكًا!

تثيرني بنظراتها وابتساماتها وحركاتها، لم أعد أحتمل، نحن بشر ولسنا برطمانات للقرفة على أية حال!

سكرتيرتي الجميلة تلهو مثل طفلة، يا لعينيها الوديعتين اللتين تذكرانني بابنتي الصغيرة، تقول بإلحاح طفولي: هيا، ارمِ الورقة أرجوك ارمِها، وسأذهب وأحضرها بسرعة ! تركض في جنون لتلتقط الورقة الساقطة من الدور الرابع، تسقط الورقة قبل أن تلحقها، تأخذها من الأرض، تصعد إليّ وتلح مجددًا، تبدأ في البكاء، أوافق على مضض حين أراها تلهث متعبة رغم استمتاعها، تكرر الطلب خمس مرات. بالكاد أقنعها أن تكف عن هذا العبث الطفولي، تلتصق بي فجأة في شبق متفجر ليست له مقدمات. ألفت نظرها إلى أننا في الشركة، تنتبه في خجل، وبالكاد تنتزع نفسها وتلملم شعث شعرها. يا لعفويتها وجنونها المحبوبين!

آراؤها التحررية، وتلقائيتها وبساطتها الأخاذة، جنبتني وجع رأس الأوراق العرفي. حبيبتي لا تحتاج إلى ورقة، لأنها ترى أن الحب لا يحتاج إلى ورقة تثبته، هو يطفو ويسمو ويرقى عن سطح كل هذه التفاهات! فاجئني فكرها

المتحرر الجميل، عرفتُ كثيرات، ولكن لم أقابل امرأة مثلها، في مثل تحررها وبساطتها، امرأة لا تعقد الدنيا بل تجعلها حلوة سهلة. زوجتي امرأة محافظة ونكدية على طول الخط.

في ليلة حبنا الأولى، أصرت أن نلعب لعبة حلوة...

- اهدأ يا منصور، لماذا تتحدث عنها هكذا ثم تبدأ في البكاء؟ قل الحقيقة، ما تحس به فعلاً، وبهدوء، لا تجبر نفسك، لا تخلط مشاعرك! (مربتًا على كتفه)

تناولت حبة دواء من نوع "..."، أكدت لي أن الليلة يستحيل أن تمضي قبل أن أنفذ لها رغباتها المبدئية، لأنها بحاجة إلى الصفع واللسع! شعرت بالدهشة، وقفت مذهولاً في مكاني أحاول إقناعها مرارًا بالرجوع عن هذه الرغبات الغريبة، لكني فشلت. كانت رغباتي أقوى مني، أردت أن أنتهي من الأمر سريعًا، فعلت ما طلبته بخوف وبعض التقزز، لكن رغباتها لم تتوقف، لقد طلبت أشياءً أخرى، نفذت لها كل ما أرادته وكأني لعبة بين يدي جنونها وعبثها . وغادرتها بمجرد الحصول على ما أردته.

توترت أعصابي للغاية، كرهت نفسي، وكرهت كل شيء، وصلت إلى البيت، تفحصت الأحوال هناك، ضربت ابنتي علقة موت لأسباب لا معنى لها، وضربت زوجتي على مؤخرتها أيضًا. في الصباح، تغيرت معاملتي مع الموظفين، شخطت ونطرت وأهنت الجميع، استشطت غضبًا عندما رأيتها قادمة بهدوء وفي يدها حزمة من الشمع، وعلى وجهها ابتسامة عريضة.

راقبتها لأيام وتأكدت من حقيقة أمرها، اختلست النظر إليها وهي تشعل شمعتين، واحدة لتضعها على المكتب، وأخرى لتغمس أصابعها في لعابها

السائل! لقد كنتُ أكذب، فعندما اقتربت لتلمع حذائي لم يكن لطفًا منها بل كان أمرًا عجيبًا جدًا! مسحت مقدمته بمنديل، واقترب وجهها فجأة، لامس لسانها سطحه لثانية قبل أن أبعد قدمي فورًا، أنبتها ونهرتها على هذا التصرف الغريب، أكدت أنها لم تكن تقصد، وحلفت الأيمان الغليظة أنها تحبني حتى سرح خيالها وهي تلمعه فلم تنتبه لحركاتها !

مثلها الأعلى دائمًا كما كانت تقول لي هو "أمينة" نجيب محفوظ زوجة "سي السيد"، كنت منبهرًا من تواضعها وتفانيها في خدمتي وتوفير وسائل الراحة لي رغم بعض تصرفاتها الغريبة، كانت تعاملني كملك في خضوع ذليل تفسره بأنه خضوع المحبين. قارنت بينها وبين زوجتي، امرأة متسلطة وقوية، لهذا تعلقت بها.

اقتربت مني ونحن في شرفة الدور الرابع، وأصرت أن أعض أذنها، لكني تقززتُ من سخافة الفكرة! خبطت رأسها في كتفي ملحة حتى تبعثرت بعض خصلاتها، توقفت أخيرًا وقالت أنها كانت تمزح، وأن المحبين يجب ألا يتقززوا من عض بعضهم، مثلما يجب ألا يتقززوا من استعمال فرشاة أسنان واحدة، هذا هو الحب! كتمتُ سخطي وأنا أتقزز من الشق الأول بالذات من الفكرة! حملتُ كلامها كله على محمل المزحة الثقيلة وسكت.

لقد أكدت لها أنها بحاجة إلى إجازة طويلة، ملمحًا ألا تعود مرة أخرى، مضيت قرار الإجازة وسط اعتراضها، أخذت حزمة شموعها ومضت. مر أسبوعان عندما بدأتُ في تلقي تهديداتٍ منها، في البداية كانت تهديداتها بسيطة وتتسم بالبلاهة، لكنها أرعبتني عندما قررت تهديدي بابنتي. ذهبت إلى منزلها رأسًا كي أضع حدًا لهذه المسألة، لم تمهلني وقتًا إضافيًا قبل أن أتشاجر معها، رأيتها عارية، تحمل في يديها حزمة من الدبابيس والشموع! اقتربت ولطمتها، ثبت رقبتها بين يديَّ، صرخت في وجهها لماذا تفعل كل هذا،

أردت معرفة السبب، اعترفت أن والدها كان يعنف والدتها بشدة في أوقاتهما الحميمة، كانت أمها تصرخ طوال الليل، وكانت هي تبكي وتظل خائفة.

أرخيتُ كفيّ، وهدأتُ قليلاً، ارتميتُ على أقرب مقعد، مكثتُ بعض الدقائق في هدوء ألتقطُ أنفاسي، رأيت ظلها أمامي وسط إضاءة الأباجورة الخافتة، كانت تقترب خلفي، وضعت يديها على كتفيّ، حاولت جذبي إليها، التفتُ فجأة ولكمتها لكمات متتالية، سارعتُ للخروج من الباب، عندما كان ضربي قد أثارها دون قصد، وزاد حالتها سوءًا. تمسكت بي عند الباب، ونازعتني بشدة، أرادت أن تمنعني من الخروج، قاومتها بشراسة بعد أن تحول ضعفها إلى عنف، وغرزت أظفارها في مقدمة رقبتي، دفعتُها بقوة إلى الأرض، ولكن، لم تسقط وحدها...

- احكي يا منصور، لماذا توقفت؟ ما الذي حدث بعد ذلك؟ اهدأ، اطمئن، أنا هنا لمساعدتك.

ارتطامها بالأرض أحدث جلبة، لم أعرف كيف حدث هذا بالضبط، ولكن سقطت الأباجورة على رأسها. رأيت رأسها غارقًا في الدم، توقفت عن التفكير، وحدقت في منظرها لدقائق، نزلت السلالم بسرعة البرق .

شعرت بالذنب، وخشيت من اكتشاف أمري، تمالكت أعصابي، وتوقف جسمي عن الارتعاد، استقللت سيارتي بسرعة، بصعوبة ضغطت على المقود، كانت كلتا يديَّ ترتعشان، ما كدت أخرج من المنطقة حتى ترجلت منها حين اعترضني زحام مفاجئ على بعد عشرين مترًا.

مشيتُ في الشارع.. كانت المدينة مليئة بالمازوخيين، وعشاق الضرب على قفاهم، عبدة الزعماء والطواغيت، رأيتهم يعترضون طريق عودتي بتجمهرهم الكبير، رافعين أحذية ضخمة على أدمغتهم في فخر! لم يكن ينقص إلا أن يلعقوها! وقفت معهم ورفعت حذاءً!

تركتهم بعد قليل، وتابعت سيري، اخترقت شارع "لام" ومررت بعدة شوارع جانبية، حين وجدت نفسي فجأة محاصرًا في شارع "صاد" مع قلة مندسة من الخارجين على القانون، رأيتهم يسحلونهم بعنف على أرض الشارع، اقتربت من أحد الضباط في حذر، رأيت ظل كفٍ كبيرة تهوي على قفاي، وقبضتين قويتين لشخصين آخرين يمسكان بكلتا كتفيّ.

كدت أن يُقبض عليّ وأذهب إلى ما وراء الشمس، رأيتهم يحشرون عددًا من البشر حشرًا في سيارة للاعتقالات، لولا أنني لوحت لهم باسمي الحقيقي، وكشفت عن هويتي، أنا منصور الربيعي ابن رجل الأعمال المعروف، ابن "ولاد الذوات"، جدودي شاركوا في نهب البلد! ولم يدخروا جهودهم في إعلاء شأنها، تركتنا الوطنية توارثتها عائلتنا بشرف جيلاً بعد جيل، لقد خدمنا هذا الوطن دون كللٍ أو تقصير، وخدمنا حكامه لسنين طويلة. رفعوا عني أكفهم، نظروا إلي في سرعة معتذرين عما بدر منهم، مؤكدين أن حال البلد لم يعد يحتمل إلا القبضة الحديدية في التعامل، للحفاظ على الأمن الداخلي والقومي. سألتهم ماذا فعل هؤلاء الشباب؟ أجابوني بأنهم قد خرقوا قانون التظاهر!

قضيت حياتي مشغولاً بتكديس الثروة، لم أنتبه يومًا إلى حياة البسطاء أو المهمشين، كنت عطوفًا في مكاني، في شركتي الخاصة كنت أعامل الجميع بطيبة، ولم أكن أعلم أن هناك الكثير من القسوة في الخارج. سمعت كثيرًا عن الفساد والمفسدين، لكن لم أكن أعتبر نفسي واحدًا منهم، لم أفكر يومًا في مصدر الثروة التي آلت إليّ وحقيقتها، تملكت أراضيَ وعقاراتٍ كثيرة على أنها حلال ومن حقي دون أن أفكر في الكيفية التي حازها أجدادي بها.

عشت حياتي بالطول وبالعرض، فعلت كل ما أشتهيه، ولم أحرم نفسي من شيء، اشتريت يخوتًا وشاليهات، سافرت إلى أوروبا وأمريكا، زرت سويسرا، تذوقت كل المشروبات الروحية، ونادرًا، تناولت أقراصًا مخدرة لتجريب مفعولها، تعددت علاقاتي النسائية، لم تكن العلاقة الأولى التي أقيمها مع

سـكرتيرة، ولكـن هـذه المـرأة كانـت مختلفـة، لقـد حطمتني مـن الـداخل، وحطمت حياتي كلها.

"عزيزي محمود، المريض الذي سوف يخرج الآن لديه ميول سادية خفية ناشئة الظهور، وربما تكون قد جدت عليه بعض مشاعر المازوخية أيضًا بناءً على حادث أليم ! انتبه، لأنه في حالة انفعال وتأثر شديدين".